

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان البحث "المنهج القرآني في الإصلاح والتغيير: دراسة استقراية تحليلية"

د. توفيق العمراني elamranitaoufiq@yahoo.fr (المغرب)

مقدمة

إن غاية خلق الإنسان وإيجاده في هذه الحياة تحقيق العبودية لله تعالى بمفهومها العام والخاص، ولما كانت هذه الحياة دار ابتلاء واختبار فقد وُجد فيها الخير والشر، الصلاح والطلاح، والإنسان متعبد بطلب كل ما هو خيرٌ صالح، ومحاولة إصلاح وتغيير عكسه انسجاما مع مبدأ الاستخلاف في الأرض الذي يقتضي عمارتها بالإصلاح، واجتناب الفساد والإفساد. وقد جاءت التشريعات السماوية منذ الخليفة إلى خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والتسليم تكريسا للمنهج الرباني في تثبيت الخير وإصلاح ضده وتغييره، قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)¹.

جاء هذا البحث ليجلي جوانب الإصلاح والتغيير انطلاقا من المنهج القرآني في ذلك، وقد وسمته ب: "المنهج القرآني في الإصلاح والتغيير: دراسة استقراية تحليلية".

علاقة البحث بمحاور المؤتمر

يندرج هذا البحث ضمن المحور الثاني من محاور المؤتمر "جوانب بناء الإنسان في القرآن الكريم"، حيث إن العلاقة الرابطة بينهما تكمن في كون المنهج القرآني في الإصلاح والتغيير يجلي بوضوح كيف نظر القرآن الكريم لأساليب الإصلاح والتغيير إما تشخيصا أو معالجة، تعلق الأمر بالفرد أو الجماعة.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

- 1 عرض المنهج القرآني في الإصلاح والتغيير.
- 2 التعرف على أهم أسس الإصلاح والتغيير التي اعتمدها القرآن الكريم.
- 3 الوقوف على المجالات التي انصب عليها الاهتمام القرآني إصلاحا وتغييرا.

محاور البحث

- المحور الأول: تعريف: المنهج، الإصلاح، التغيير.
 - المحور الثاني: أسس الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم.
 - المحور الثالث: مجالات الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم.
- نتائج وتوصيات.

¹ سورة آل عمران الآية 110.

المحور الأول: تعريف: المنهج، الإصلاح، التغيير

أولاً: تعريف المنهج

المنهج لغة:

أصل كلمة المنهج مادة (النون، والهاء، والجيم)، ويحمل معنى هذه المادة مدلولين متقابلين: أولهما: الطريق الواضح.

ثانيهما: الانقطاع.

قال ابن فارس في دلالة مادة المنهج: (النون والهاء والجيم أصلان متباينان :

الأول: النهج الطريق، ونهج لي الأمر أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج الطريق أيضا والجمع مناهج.

الآخر: الانقطاع، وأتانا فلان ينهج إذا أتى مبهورا منقطع النفس، وضربت فلانا حتى أنهج أي سقط)1.

المعنى الذي يهمننا في هذا البحث ويتناسب مع سياقه هو المعنى الأول، وقد ورد في معاجم اللغة بمعنى الطريق الواضح المستقيم البين، فقد جاء في مختار الصحاح : (النهج بوزن الفلس، والمنهج بوزن المذهب والمنهاج الطريق الواضح، ونهج الطريق أبانه وأوضحه، ونهجه أيضا سلكه، وبأيهما قطع)2.

وعند ابن منظور: (طريق نهج بين واضح، وهو المنهج ... وطرق نهجة وسبيل منهج كنهج، ومنهج الطريق وضحه، والمنهاج كالمنهج)3.

انطلاقا مما تقدم فالمنهج والنهج بمعنى واحد، دلالة مبنية على وصف الوسيلة الموصلة للغاية، فالوسيلة الطريق، والوصف هو الوضوح، فيكون معناه اللغوي الطريق الواضح .

المنهج في الاصطلاح العام:

إن المنهج في كتب الاصطلاح العام له نفس المعنى اللغوي؛

فمنهم من عرفه باعتبار وسيلة الغاية، وآخرون وصفوا هذه الوسيلة، قال المناوي: (المنهج الطريق المنهوج أي المسلوك)4، وعند أبي البقاء الكفوي : (النهج هو في الاستعمال الوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال)5 .

إن الظاهر من هذين التعريفين يتمحور حول كون دلالة المنهج هو النهج على الطريق، لكن تم تخصيص هذه الدلالة بالاستعمال، فأصبح المنهج يطلق على الطريق الواضح دون غيره من الطرق.

¹ معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ن،ه،ج)

² مختار الصحاح للرازي مادة (ن، ه، ج)

³ لسان العرب لابن منظور مادة (ن، ه، ج)

⁴ التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي 681

⁵ الكليات لأبي البقاء الكفوي 910.

المنهج في القرآن الكريم :

لم يرد لفظ المنهج في القرآن الكريم إلا مرة واحدة بلفظ "منهاجا" في قوله تعالى: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)1.

إن سياق الآية يدل فيه معنى كلمة المنهج على طريق عام يقتضي وجهين: فإما أن يكون طريقا موصلا إلى الغاية المشروعة وإما أن يكون طريقا منحرفا موصلا إلى غير المطلوب.

والدليل على دلالة المشترك تصدير الآية بتوجيهين متناقضين :

الأول يعتمد الهوى " ولا تتبع أهوائهم "

الثاني يعتمد الحق والوحي " عما جاءك من الحق "

قال العلامة الطاهر بن عاشور في تفسير الآية: "... المنهاج : الطريق الواسع، وهو هنا تخييل أريد به طريق القوم إلى الماء ... ويصح أن يجعل له رديف في المشبه بأن تشبه العوائد المنتزعة من الشريعة، أو دلائل التفريع عن الشريعة، أو طرق فهمها بالمنهاج الموصل إلى السماء، فمنهاج المسلمين لا يخالف الاتصال بالإسلام، فهو كمنهاج المهتدين إلى الماء، ومنهاج غيرهم منحرف عن دينه)2.

انطلاقا من هذا التفسير يتنوع المنهج إلى منهج صحيح واضح، وآخر منحرف؛ لكن عند الاطلاق ينصرف الذهن إلى الواضح، فيكون المعنى مخصصا بالاستعمال؛ لذا قال الزمخشري في تفسير الآية السابقة وخاصة كلمة منهاجا: (طريقا واضحا في الدين تجرون عليه)3.

وعليه فالمنهج هو طريق يعتمد سالكه على الحق ليصل في الغاية إلى المطلوب المشروع.

ثانيا : تعريف الإصلاح

الإصلاح لغة:

يقال: (صلح الشيء صلوحا من باب قعد وصلاحا أيضا، وصلاح بالضم لغة، وهو خلاف فسد، وصلاح يصلح بفتحيتين ثالث فهو صالح وأصلح أتى بالصلاح، وهو الخير والصواب، وفي الأمر مصلحة أي خير)4. إن مادة الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد5، إذن فالصيغ إذا اختلفت دلت على معان مختلفة المبني متحدة المعنى؛ أي ترجع إلى أصل المادة، قال الفيروز آبادي: (الصلاح ضد الفساد ... والصلاح بالضم السلم)6.

¹ سورة المائدة من الآية 48 .

² تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المسمى بالتحريير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور 223/6

³ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري 673/1

⁴ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للقيومي مادة (ص، ل، ح)

⁵ معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ص، ل، ح) .

⁶ القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة (ص، ل، ح)

بناء على ما تقدم فإن خلاف الفساد معنى ضابط لكل المعاني الجزئية المندرجة تحت مادة الصاد واللام والحاء؛ فالسلم صلاح والحرب فساد، والخير صلاح والشر فساد وهكذا، فيكون معنى الإصلاح في اللغة خلاف الإفساد.
الإصلاح اصطلاحاً:

إن كتب الاصطلاح العام تناولت مادة الصاد واللام والحاء كما هي عند أهل اللغة، لكن الاشتقاقات أضافت عليها معان باعتبار زاوية التعريف مع المحافظة على المعنى العام وهو خلاف الفساد؛
جاء في الكليات: (الصلاح ضد الفساد)1.
وعند تعريف الإصلاح قال المناوي: (الإصلاح تلافي خلل الشيء)2. وعرفته الموسوعة الفقهية بأنه: (استقامة الحال بعد الفساد بما يقتضيه الشرع والعقل والحكمة)3.
انطلاقاً مما تقدم فالإصلاح يقتضي حالة سابقة عليه تتصف بشيء من الفساد، وبالتالي هو فعل يقوم به المصلح لعلاج الوضع الفاسد السابق.

الإصلاح في القرآن الكريم:

ذكر الحسين بن محمد الدامغاني في كتابه إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم أن مادة ص.ل.ح في القرآن الكريم على عشرة أوجه هي:
الوجه الأول: الإيمان؛ ومنه قوله تعالى: (ومن صلح من آبائهم)4 بمعنى آمن.
الوجه الثاني: حسن المنزلة، أي تصلح منزلتكم؛ ومنه قوله تعالى: (وتكونوا من بعده قوما صالحين)5.
الوجه الثالث: الرفق؛ ومنه قوله تعالى: (ستجدني إن شاء الله من الصالحين)6.
الوجه الرابع: تسوية الخلق، ومنه قوله تعالى: (لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين)7 يعني سوي الخلق.
الوجه الخامس: الإحسان؛ ومنه قوله تعالى: (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت)8 أي الإحسان.
الوجه السادس: الطاعة؛ ومنه قوله تعالى: (إنما نحن مصلحون)9، يعني: مطعين لله تعالى في الأرض.

¹ الكليات لأبي البقاء الكفوي 884-885

² التعاريف للمناوي 67.

³ الموسوعة الفقهية الكويتية وزارة الشؤون الإسلامية بالكويت 62/5

⁴ سورة الرعد من الآية 23

⁵ سورة يوسف من الآية 9

⁶ سورة القصص من الآية 27

⁷ سورة الأعراف الآية 189

⁸ سورة هود من الآية 88

⁹ سورة البقرة من الآية 11

الوجه السابع: أداء الأمانة؛ ومنه قوله تعالى: (وكان أبوهما صالحا)1 يعني أنه كان ذا أمانة.

الوجه الثامن: بر الوالدين؛ ومنه قوله تعالى: (إن تكونوا صالحين)2 يعني بارين بوالديكم.

الوجه التاسع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه قوله تعالى: (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)3.

الوجه العاشر: الحج، ومنه قوله تعالى: (لعلي أعمل صالحا فيما تركت)4 أي أحج.5

انطلاقا مما تقدم فقد وردت مادة الصاد واللام والحاء بصيغ متعددة اسما كانت أو فعلا، على اختلاف بناء الصيغة، كفعل الأمر والماض وهكذا، لكن دلالتها وإن اختلفت فإنها ترجع إلى أصل واحد وهو خلاف الفساد؛ فالإيمان صلاح خلافه الكفر، وحسن المنزلة صلاح خلافها سوء المنزلة، والرفق صلاح خلافه الشدة، وتسوية الخلق صلاح خلافها فساد الخلق وتشويبهه، والإحسان صلاح خلافه الإساءة، والطاعة صلاح خلافها المعصية، وبر الوالدين صلاح خلافه عقوقهما، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صلاح خلافه النهي عن المعروف والأمر بالمنكر، والحج صلاح خلافه عدم قصده تهاونا أو جحودا.

ثالثا: تعريف التغيير

التغيير لغة:

قال ابن فارس: (الغين والياء والراء أصلان صحيحان يدل أحدهما على صلاح ومنفعة.

الآخر على اختلاف شيئين)6

والمعنى المقصود عندنا في هذا البحث هو الأول.

وعند ابن سيده: (غيره: حوله وبدله، كأن جعله غير ما كان)7، وعليه فالتغيير تحويل وتبديل ما كان لشيء مخالف.

التغيير اصطلاحا:

يعرف التغيير في الاصطلاح باعتبار زاوية رؤية التغيير؛ لكنها تتفق جميعا في العناصر المكونة للتعريف.

التغيير عند علماء الاجتماع: "عبارة عن ظاهرة التحول والنمو والتكامل والتكيف والملاءمة التي يتعرض لها كل نظام

حضاري...)"8.

¹ سورة الكهف من الآية 82

² سورة الإسراء من الآية 25

³ سورة هود الآية 117

⁴ سورة المؤمنون من الآية 100

⁵ إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للحسين محمد الدامغاني ص 283/282.

⁶ مقاييس اللغة لابن فارس مادة (غ.ي.ر)

⁷ المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده مادة (غ.ي.ر)

⁸ التغيير الحضاري وتنمية المجتمع لمحبي الدين صابر ص71

التغيير في اصطلاح الإداريين: (تحرك ديناميكي باتباع طرق وأساليب مستحدثة ناجمة عن الابتكارات المادية والفكرية، ليجعل بين طياته وعودا وأحلام للبعض وندما وآلاما للبعض الآخر، وفق الاستعداد الفنى والإنساني)¹.
عُرف أيضا بكونه: (عملية تحليل الماضي لاستنباط التصرفات الحالية المطلوبة للمستقبل، ويشمل التحرك من حالة حاضرة إلى حالة انتقالية حتى نصل إلى الحالة المنشودة في المستقبل)².
انطلاقا من هذه التعاريف فالتغيير "تبديل وضعٍ وتحويله وفق منهج معين". إلا أن هذا التبديل إما أن يكون من الأسوأ إلى الأحسن أو العكس، والذي يهمنا في سياق هذا البحث هو التغيير من الأسوأ إلى الأحسن .
مفهوم التغيير في القرآن الكريم:

ورد التغيير في القرآن الكريم بمعنيين : تغيير من الأحسن إلى الأسوأ، أو تغير من الأسوأ إلى الأحسن.
أما الأول فمنه قوله تعالى في طلب إبليس اللعين إنذاره حيث جاء في الآية قال : " لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله)³.
قال القرطبي: (اختلف العلماء في هذا التغيير إلى ماذا يرجع؟ فقالت طائفة هو الخصاء وفقء العين، وقطع الآذان ... وقالت طائفة المراد بالتغيير لخلق الله هو أن الله تعالى خلق الشمس والقمر والأحجار والنار وغيرها من المخلوقات ليعتبر بها وينتفع بها فغيرها الكفار بأن جعلوها آلهة معبودة)⁴ وقيل غير ذلك.
انطلاقا مما تقدم فالتغيير الوارد في الآية تغيير من الأحسن إلى الأسوأ ومن الخير إلى الشر.
أما المعنى الثاني فمنه قوله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَكِينٌ عَلِيمٌ)⁵.

ورد في تفسير الآية تغيير ما بالناس بسبب العصيان والكفر والجحود، قال ابن كثير: (يخبر تعالى عن تمام عدله وقسطه في حكمه بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه)⁶، ومما يدل على ذلك ما جاء بعد هذه الآية من تشبيه بآل فرعون، قال تعالى : (كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَا هُم بِذُنُوبِهِمْ)⁷، إذن فهذا تغيير سلبي؛ لكن يحتمل بمفهومه العام أن يكون تغييرا من الأسوأ إلى الأحسن لعدم وجود ما يعارضه، فقد (جاء سياق آية التغيير بين إشارتين لقصة فرعون كتمثيل في عدم الاستجابة لمنهج الله والحق – نحو منهج الله –، والتغيير السلبي – ضد منهج الله –، إذ إن الناظر في معنى الآيتين يجد أن من كان في نعمة فعصى فقد أبدلت

¹ واقع إدارة التغيير لدى وزارات السلطة الفلسطينية لحمد محمود ص 26

² المرجع السابق ص 27

³ سورة النساء الآيات 118/119

⁴ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي 369/5

⁵ سورة الأنفال الآية 53

⁶ تفسير القرآن العظيم لابن كثير 78/4

⁷ سورة الأنفال الآية 54

حاله إلى سوء، ومن كان في نعمة فحفظها بالشكر وزيادة الطاعة، فقد تمت نعمة الله عليه بدوامها وزيادتها، وعليه يكون قانون التغيير الشامل للإنسانية سواء أكان نحو الأفضل أو الارتقاء النسبي، أو نحو الأسوأ أو في الهبوط النسبي¹.

رابعاً: الإصلاح والتغيير أية علاقة؟

إن مصطلح التغيير أعم من الإصلاح، والإصلاح جزء من التغيير فعلاقتهما علاقة عموم وخصوص، وجزء من كل، فالإصلاح في حد ذاته تغيير، لكنه تغيير ليس على الإطلاق بل تغيير يقتصر فقط على جانب من جوانبه، ألا وهو التغيير من الأسوأ إلى الأحسن، وعليه فكل إصلاح تغيير، وليس كل تغيير إصلاحاً قطعياً، فقد يكون إصلاحاً، وقد يكون إفساداً.

لكن في سياق هذا البحث – أي المنهج القرآني في الإصلاح والتغيير – فهما بمعنى واحد؛ إذ الاقتصار في التغيير كان على الجانب الإيجابي وليس السلبي؛ لأن الله تعالى خالق الكون ومن صفاته العدل، والإصلاح مظهر من مظاهر عدله، وفق المنهج الذي يبينه لنا في القرآن الكريم .

¹ منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي ثماني عفيف يوسف جابر ص 45

المحور الثاني: أسس الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم.

يقصد بأسس الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم تلك المبادئ التي تجسدت في الخطاب القرآني تغييراً لأحوال الناس السيئة على جميع المستويات".

إن المتدبر في القرآن الكريم يجده قد أعمل هذه الأسس بطريقتين.

الأولى: في الخطاب المباشر للعباد.

الثانية: في وحيه عز وجل للأنبياء والمرسلين بوجوب مراعاة هذه الأسس من أجل إصلاح وتغيير الأحوال والعادات الفاسدة.

ومن جملة هذه الأسس نذكر ما يلي:

أولاً: الرفق واللين:

القول اللين هو: (الكلام اللطيف السهل الرقيق ليس فيه ما يغضب وينفر)¹.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى مخاطباً موسى وهارون عليهما السلام قصد دعوة فرعون:

✓ (اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى)².

إن أسلوب الرفق واللين من أهم الأسس التي اعتمدها القرآن الكريم للإصلاح والتغيير في القول أو الفعل المراد إصلاحه وتغييره؛ فرعون ادعى الربوبية، وأراد منازعة الله تعالى في صفاته، ورغم كل ذلك أمر رب الأرباب موسى وهارون عليهما السلام باللين في مخاطبته لعل الهداية تدخل قلبه، فيصلح بها بعد أن أفسده الكفر والجحود.

ثانياً: الترغيب والترهيب.

إن أسلوب الترغيب والترهيب حاضر بقوة في خطاب القرآن الكريم للناس أجمعين وذلك حسب الحالة المراد إصلاحها، لذا فقد خاطب الله تعالى عباده في أحيان بأسلوب الترغيب، وفي أحيان أخرى بالترهيب، وقد جمعها الله تعالى في أحيان أخرى في القرآن الكريم حتى لا يطمع الظالم ولا ييأس الضعيف، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى:

✓ (نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم)³

✓ (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا

تعبدوا إلا الله)⁴

✓ (فإن امنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم)⁵

¹ أضواء البيان في إيضاح القرآن الكريم لمحمد الأمين الشنقيطي 15/4.

² سورة طه الآية 44.

³ سورة الحجر الآية 49-50.

⁴ سورة فصلت الآية 13.

⁵ سورة البقرة الآية 137.

✓ (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم)1

✓ "وهو الذي جعل لكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم"2

قال الطاهر بن عاشور في تفسير الآية الأخير: (ومن لطائف القرآن الاقتصار في وصف "سريع العقاب" على مؤكد واحد، وتعزيز وصف "الغفور الرحيم" بمؤكدات ثلاثة وهي: إن، ولام الابتداء، والتوكيد اللفظي؛ لأن "الرحيم" يؤكد معنى "الغفور" ليطمئن أهل العمل الصالح إلى الإقلاع عما هم فيه)3

ثالثا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هذه صفة جعلت أمة نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم خير الأمم؛ لأنها ليست أمة صالحة فقط لنفسها، بل صالحة في نفسها مصلحة لغيرها؛ ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك قوله تعالى:

✓ (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)4

قال الرازي رحمه الله في تفسير قوله تعالى "يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر": (واعلم أن الغاية القصوى في الكمال أن يكون تاما وفوق التمام، فكون الإنسان تاما ليس إلا في كمال قوته العلمية والنظرية...، وكونه فوق التمام أن يسعى في تكميل الناقصين وذلك بطريقتين:

➤ إما بإرشادهم إلى ما ينبغي وهو الأمر بالمعروف.

➤ أو يمنعهم عما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "يأمرن بالمعروف" أي ينهون عن الشرك بالله، وعن إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، واعلم أن لفظ المعروف والمنكر مطلق، فلم يجز تخصيصه بغير دليل، فهو يتناول كل معروف وكل منكر)5. ومن الآية الدالة على هذا الأساس في إصلاح والتغيير قوله تعالى: "المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر"6

✓ (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين)7

1 سورة الزمر الآية 53.

2 سورة الأنعام الآية 165.

3 التحرير والتنوير 212/8.

4 سورة آل عمران من الآية 110.

5 تفسير الفخر الرازي 1/1232.

6 سورة التوبة الآية 71.

7 سورة آل عمران من الآية 114/113.

إذن فهذه الآيات وغيرها تؤصل للمنهج القرآني في الإصلاح والتغيير؛ إذ تبليغ الرسالة يقتضي إما أمراً أو نهياً، والأمر لا بد أن يكون بمعروف والنهي لا بد أن يكون عن منكر حتى يقع الإصلاح والتغيير، فبهذا الأسلوب انتشر التوحيد عوض الشرك، والعدل عوض الظلم، والحب ضد الكره وهكذا.

رابعاً: الحكمة و الموعظة الحسنة.

إن من أهم أسس الإصلاح والتغيير التي اعتمدها القرآن الكريم في خطابه للعباد، أو في دعوة من يدعوا إلى الله تعالى الالتزام بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لأن بها تُكسب القلوب، ويفتح الموصود، ويقبل المعرض، وينتبه الغافل؛ لذا دعا الله تعالى في القرآن الكريم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاتصاف بذلك في دعوته وحواره للمخالفين، قال تعالى:

✓ (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)¹

جاء في تفسير الآية:... (والباء في قوله بالحكمة للملابسة... ومعنى الملابس يقتضي أن لا تخلو دعوته إلى سبيل الله عن هاتين الخصلتين: الحكمة، والموعظة الحسنة؛

فالحكمة هي المعرفة المحكمة أي الصائبة المجردة عن الخطأ، وهي اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحاً مستمراً لا يتغير... وقيدت الموعظة بالحسنة ولم تقيد الحكمة بمثل ذلك؛ لأن الموعظة لما كان المقصود منها غالباً ردع نفس المدعو عن أعماله السيئة، أو عن توقع ذلك منه، كانت مظنة لصدور غلظة من الواعظ، ولحصول انكسار في نفس الموعوظ أرشد الله رسوله أن يتوخى في الموعظة أن تكون حسنة، أي بإلانة القول وترغيب الموعوظ في الخير)²

خامساً: التدرج.

إن التدرج مظهر من مظاهر الحكمة في الدعوة، فهو ينم عن بعد رؤية وأسلوب تعامل مع المشاكل والأزمات، ومن أهم مجسدياته في القرآن الكريم طريقة تحريم الخمر.

إن من عادات الجاهلية التي جاء الإسلام ووجدها مستشرية في المجتمع، ولا زالت لحد اليوم بنفس المستوى وأكثر شرب الخمر، ونظراً لكون شربه مفسدة يجب إصلاحها وتغييرها إلى ما هو أفضل، فقد حرمه الشرع على مراحل، معتمداً في ذلك أسلوب التدرج حتى تستأنس الأنفس بالتشريع ولا تنفر منه، وقد جاء تحريم الخمر وفق المراحل الآتية :

المرحلة الأولى: بيان فضل الله تعالى على الناس

قال تعالى: (وَمِنْ نَّمْرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسِناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)³.

¹ سورة النحل الآية 125.

² التحرير والتنوير 14/ 327-328.

³ سورة النحل الآية 37

قال القرطبي في قوله تعالى: (سكرا "السكر" ما يسكر هذا هو المشهور في اللغة، قال ابن عباس: نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر، وأراد بالسكر الخمر، وبالرزق الحسن جميع ما يؤكل ويشرب، حلالا من هاتين الشجرتين)1.

المرحلة الثانية: بداية التنفير منه

قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا)2. منافع الخمر كما ذكر ابن كثير: في تفسيره قوله تعالى: (قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس): (أما إثمها فهو في الدين، وأما المنافع الدنيوية، من حيث إن فيها نفع البدن، وهضم الطعام، وإخراج الفضلات، وتشحذ بعض الأذهان، ولذة الشدة المطربة التي فيها وكذا بيعها والانتفاع بثمنها ولكن هذه المصالح لا توازي مضرتها ومفسدته الراجحة لتعلقها بالعقل والدين)3.

في هذه المرحلة ذكر الشارع فقط ما تنطوي عليه من حيث المنافع والمضار إجمالا، وهذا بداية الإصلاح والتغيير.

المرحلة الثالثة: التحريم الزمني المؤقت

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)4.

في هذه المرحلة بدأ تحريمها زمنيا من خلال النهي عن السكر قبل الصلاة، وهي تمهيد للتحريم الدائم، وهذا قيمة التدرج في التشريع.

المرحلة الرابعة: التحريم النهائي

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)5.

هذه المرحلة الأخيرة في تشريع حرمة الخمر، حيث قرنه الله عز وجل مع محرمات أخرى وأمر باجتنابها، ووصفه تعالى بكونه رجسا من عمل الشيطان.

وعموما فإن (الخمر كانت حلالا لم يحرمها الله تعالى، فبقيت على الإباحة الأصلية، وفي المسلمين من يشربها ونزل قوله تعالى: " (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) في أول مدة الهجرة فقال فريق من المسلمين: نحن نشرها لمنافعها لا لإثمها، وقد علموا أن المراد من الإثم الحرج والمضرة والمفسدة، وتلك الآية كانت إيذانا لهم بأن الخمر يوشك أن تكون حراما؛ لأن ما يشتمل على الإثم متصف بوصف مناسب للتحريم، ولكن الله أبقى إباحتها رحمة لهم في معتادهم، مع تهينة النفوس إلى قبول تحريمها، فحدث بعد ثلاث سنين)6.

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 113/10

(2) سورة البقرة الآية 219 .

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 579/1

(4) سورة النساء الآية 43

(5) سورة المائدة الآية 90

(6) التحرير والتنوير 60/5

انطلاقاً من هذه الآيات السابقة يتضح لنا أن التدرج صفة لازمة للمنهج القرآني في الإصلاح والتغيير.

سادساً: الصبر

يقتضي الإصلاح والتغيير تصادماً في أحيان كثيرة بين مريد الإصلاح المصلح ومن يراد إصلاحه وتغييره، ومن أهم

القيم التي ينبغي على المصلح التحلي بها الصبر، وقد جاء الأمر بذلك في كثير من الآيات القرآنية، أذكر منها:

قوله عز وجل: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُكِنُّ كَصَاحِبِ الْخُبُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ) 1.

قال الطاهر بن عاشور في تفسير الآية: (...تفريع على ما تقدم من إبطال مزاعم المشركين ومطاعنهم في القرآن الكريم

والرسول صلى الله عليه وسلم وما تبعه من تكفل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بعاقبة النصر، وذلك أن شدته على

نفس النبي صلى الله عليه وسلم من شأنها أن تدخل عليه أساساً من حصول رغبته ونجاح سعيه ففرع عليها تثبيته وحثه

على المصابرة واستمراره على الهدى) 2.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَيَّ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ

الأُمُور) 3.

(1) سورة القلم الآية 48

(2) التحرير والتنوير 104/29

(3) سورة لقمان الآية 17

المحور الثالث: مجالات الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم.

إن المتبع لمنهج القرآن الكريم في الإصلاح والتغيير يجده غير مقتصر على جانب دون جانب، بل كان شاملاً لجميع مجالات الحياة؛ وهذه الخاصية إحدى الخصائص التي جعلت من القرآن الكريم كتاباً صالحاً لكل زمان ومكان، لكل حال وأقوام....، وسأذكر في هذا البحث أغلب المجالات التي شملها الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم.

أولاً: المجال العقدي.

إن من أهم مجالات الإصلاح في القرآن الكريم المجال العقدي، وذلك من خلال محاربة كل مظاهر الجحود والشرك، على اعتبار كون الغاية الربانية من الخلق هي عبادة الله تعالى انطلاقاً من قوله عز وجل: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)1، ومن مقتضيات تحقيق العبودية لله تعالى بل أعلاها وأسمها توحيداً لله تعالى؛ والآيات الدالة على ذلك كثيرة من أن تحصى أذكر منها:

✓ قوله تعالى: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" (2).

قال العلامة الطاهر بن عاشور: (وقوله لهم: "اعبدوا الله مالكم من إله غيره" إبطال للحالة التي كانوا عليها، وهي تحتمل أن تكون حالة شرك كحالة العرب، وتحتمل أن تكون حالة وثنية باقتصارهم على عبادة الأصنام دون الله تعالى كحالة الصائبة وقدماء اليونان، وآيات القرآن صالحة للحالتين، والمنقول في القصص أن قوم نوح كانوا مشركين)3.

إن وجه الإصلاح والتغيير في هذه الآية وغيرها تحويل حالة الشرك إلى حالة التوحيد؛ وعليه فهذا تغيير من الأسوأ إلى الأصلاح، وبالتالي فهذا إصلاح لحالة عقدية كانت فاسدة إلى حالة عقدية صحيحة مستقيمة.

✓ قال تعالى: (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)4.

✓ قال تعالى: (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَعِفُّوه ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ)5.

ثانياً: المجال الأخلاقي

1 سورة الذاريات الآية 56

2 سورة الأعراف الآية 59

3 التحرير والتنوير 188/8.

4 سورة العنكبوت الآية 36.

5 سورة هود الآية 61

انطلاق من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما بعث لأتمم مكارم الأخلاق)¹ فالنبي صلى الله عليه وسلم جاء لإكمال وإتمام الصرح الأخلاقي الذي شيده من قبله من الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم؛ فالجانب الأخلاقي التربوي من أهم نماذج المجتمع المثالي الذي يقدم الخير على الشر، والعفة على الفحش. ومن الأدلة على ذلك ما وقع للوط عليه السلام مع قومه الذي انتشرت فيهم فاحشة اللواط، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فصبحهم الله تعالى بعذاب.

✓ قال تعالى: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ أَتَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ) 2.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (يقول تعالى مخبرا عن نبيه لوط أنه أنكر على قومه سوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال في إتيانهم الذكور من العالمين، ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة من بني آدم قبلهم، وكانوا مع هذا يكفرون بالله، ويكذبون رسوله ويخالفونه ويقطعون السبيل، أي: يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم، "وَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ" أي: يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها، لا ينكر بعضهم على بعض شيء من ذلك) 3.

وعند الإمام أحمد من حديث أم هانئ رضي الله عنها أنها (سألت الرسول صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: "وَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ" قال كانوا يخدفون أهل الطريق، ويسخرون منهم، فذاك المنكر الذي كانوا يأتون) 4. انطلاقا من هذا فالجانب الأخلاقي كان من أهم المجالات التي ركز عليها القرآن الكريم في دعوة الناس إلى القيم المثلى من عفة، وصبر، وعفو، وتسامح، وغير ذلك. ومن الأدلة الدالة على ذلك أيضا:

✓ قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) 5.

✓ قال تعالى: (قَالَ لَا تَحْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) 6.

¹ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الشهادات باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث 21301.

² سورة العنكبوت الآية 28-29

³ تفسير القرآن العظيم لابن كثير 276/6

⁴ أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها واسمها فاختة، رقم الحديث 26891 .

⁵ سورة المائدة الآية 200

⁶ سورة يوسف الآية 92 .

ثالثا : المجال السياسي

على اعتبار شمولية الإسلام كنموذج للرسالة السماوية لكل زمان ومكان، حيث لم يقتصر تشريعه على تشريع الصلاة والصوم والزكاة فقط، بل كان شاملا لكل مجالات الحياة، ومن ذلك المجال السياسي، حيث دعا إلى الإصلاح والتغيير من خلال تركيز المبادئ الأساسية لهذا المجال ومن جملة هذه التشريعات في هذا المجال:

➤ إقرار مبدأ الشورى:

جاء هذا المبدأ إصلاحا وتغييرا لنمط سياسي معين اتسمت به كثير من الأنظمة السياسية قديما وحديثا، وقد دلت عليه مجموعة من الآيات القرآنية، نذكر منها:

✓ قال تعالى: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)1.

✓ قال تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)2

ففي تفسير الآية الأولى قال القرطبي: (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ" أي يتشاورون في الأمور ... فكانت الأنصار قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أمرا تشاوروا فيه، ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به)3.

أما الآية الثانية فقد ذكر الطبري أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله "فشاورهم في الأمر" بمشاورة أصحابه في مكائد الحرب وعند لقاء العدو، تطيب بذلك منه أنفسهم وتألفا على دينهم وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم ، و إن كان الله عز وجل قد أغناه بتدبير له أموره وسياسته إياه وتقويمه أسبابه عنه.4

ففي هذه الآيات دلالة على مدح المستشارين، وأمر بالتشاور كنظام سياسي، وهذا مبدأ أصيل لإقرار الموجود وإصلاح المفسود الفاسد، القائم على الاستبداد بالرأي والإقصاء.

➤ الدعوة إلى العدل

لما كان العدل أساس الحكم، فقد دعا إليه القرآن الكريم إصلاحا وتوجيها وإرشادا لكل حاكم تولى أمر رعيته، ولكل قاض تولى أمر الحسم في نزاع خصمين، ولكل راع تولى مسؤولية معينة. قال تعالى: (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)5.

جاء في التحرير والتنوير: (فأطلق لفظ العدل الذي هو التسوية، على تسوية نافعة يحصل بها الصلاح والنفعة).6.

➤ طاعة ولاية الأمور:

¹ سورة الشورى الآية 38

² سورة آل عمران الآية 159

³ الجامع لأحكام القرآن القرطبي 34/16

⁴ تفسير الطبري المسمى جامع البيان بتأويل القرآن 343/7.

⁵ سورة النساء الآية 58

⁶ التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 94/5

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)1 إذا حكم حاكم بعدل وكان خليفة الله في تطبيق ما أمر الله به فإن الخروج عنه مفسدة ليس بعدها مفسدة، لما يترتب عليها من المفساد، وقد أمر الله تعالى بذلك حتى تتحقق الوحدة واللحمة.

رابعاً : المجال الاجتماعي.

إن العلاقات الاجتماعية متنوعة ومتشعبة تحكمها عادة الأهواء والنزوات، مما يؤدي إلى النزاعات التي توجه المؤمنين إلى ضرورة الإصلاح والتغيير في هذا المجال ومن ذلك:

➤ الإصلاح بين الزوجين:

قال تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا)2، فهذا توجيه صريح بالإصلاح وتبديل حال الخصومة إلى حال الوفاق بين الزوجين؛ لأن بصالح الأسرة يصلح المجتمع.

➤ الإصلاح بين الفئتين المتنازعتين

قال تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)3. جاء في التحرير والتنوير: "أشارت جملة إنما المؤمنون إخوة إلى وجوب الإصلاح بين الطائفتين المتباغيتين ببيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من النسب الموحى ما لا ينقص عن نسب الأخوة الجسدية)4 تجسد هذه الآيات إلزام المؤمنين بإصلاح ذات البين، سواء تعلق الأمر بالأفراد كما في قوله تعالى: "فأصلحوا بين أخويكم"، أو تعلق الأمر بالجماعات كما في قوله تعالى: "فأصلحوا بينهما"، وهذا منهج أصيل لتغيير الحالة الاجتماعية من الكره إلى الحب، ومن المحاسبة والانتصار للذات إلى المسامحة والتجاوز.

خامساً: المجال الاقتصادي.

من صور الإصلاح والتغيير في المجال الاقتصادي الواردة في القرآن الكريم نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر:

➤ إباحة البيع وتحريم الربا:

قال تعالى: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا، وأحل الله البيع وحرم الربا)5.

1 سورة النساء الآية 59

2 سورة النساء الآية 35

3 سورة الحجرات الآية 9-10

4 التحرير والتنوير 26/244.

5 سورة البقرة من الآية 275.

نظرا للمفاسد التي يؤدي إليها التعامل بالربا، فقد جاء النص القرآني صريحا في تحريم الربا: وسياق الآية يدل على توجيهه وقع من أجل تغيير حال أسوأ وهو التعامل بالربا إلى حال أفضل وهو كسب المال بطرق مشروعة كالبيع؛ لأن معرض التشبيه بين البيع والربا دلالة على ضلال في التصور والسلوك، وهذا ما جاء القرآن لإصلاحه.

➤ تحريم التطفيف في الكيل والوزن في المعاملات التجارية.

قال تعالى: (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون)1.

جاء في تفسير كلمة التطفيف: (هو النقص عن المقدار في الموزون أو المكيال)2.

وهذا إصلاح وضع وتغييره عن طريق تشريع حكم وتوعد مخالفه بأشد العقوبة، فهو إصلاح وتغيير من حالة فساد كانت في المدينة إلى حال أحسن تضمن لكل ذي حق حقه في المعاملات التجارية. وقد ساق الطبري بسنده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أحبث الناس كيلا فأنزل الله: "ويل للمطففين" فأحسنوا الكيل)3.

¹ سورة المطففين الآية " 1-3

² التحرير والتنوير 189/30.

³ جامع البيان في تأويل القرآن للطبري 277/24.

أهم النتائج والتوصيات

1. أهم النتائج

- ✓ المنهج القرآني في الإصلاح والتغيير أرقى وأشمل منهج إصلاحي؛ فهو أرقى من حيث المنهج الذي سلكه للإصلاح والتغيير، وأشمل من حيث المجالات المستهدفة بالإصلاح والتغيير.
- ✓ زماننا اليوم أدعى إلى إعمال المنهج القرآني في الإصلاح والتغيير من أي زمن مضى، ذلك أن تراكمات السنين جعلت الانحرافات التصورية والسلوكية تكثر وتتعاظم، وفي الرجوع إلى القرآن الكريم ومنهجه في الإصلاح والتغيير السبيل الأنجع والطريقة الأمثل لذلك.
- ✓ واقع المسلمين اليوم في عمومهم بعيد كل البعد عن مراعاة المنهج القرآني في الإصلاح والتغيير سواء، من حيث الأسس أو المجالات.
- ✓ البعد عن المنهج القرآني في الإصلاح والتغيير يتخذ منهجين اثنين لا ثالث لهما في واقع المسلمين اليوم، وهذان المنهجان هما السبب في تدني تعامل كثير من المسلمين مع محيطهم الداخلي والخارجي:
 - **المنهج الأول:** الإفراط والتشدد؛ وذلك راجع إلى الحرفية والظاهرية التي يريد بعض المسلمين التثبت بها ادعاء منهم بموافقتها للتدين الصحيح، وتوجههم هذا مبني على خلل في التصور والفهم.
 - **المنهج الثاني:** التفريط والإهمال؛ وذلك راجع إلى الجهل أو الأنانية في التعامل مع هذا الواقع، حيث يتصف أصحابه بعدم معرفتهم بإشارات القرآن الكريم ومنهجه، وإما لأنانية ولا مبالاة في التعامل مع ما تعيشه الأمة والعالم من انحراف عن الجادة، معطلين الخيرية التي مدح الله تعالى بها أمة سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وعلى جميعهم أجمعين.

2. أهم التوصيات.

- ✓ العمل على نشر الوعي بين صفوف الأمة أفرادا وجماعات، شبانا وكهولا، رجالا ونساء، صغارا وكبارا، بأهمية الإصلاح والتغيير، وأهم الأسس والمجالات التي ينبغي العمل بها وعليها.
- ✓ تخصيص مراكز بحثية، وفتح تكوينات علمية، وتنظيم ندوات ومؤتمرات تعنى بتجلية دور القرآن الكريم في الإصلاح والتغيير.
- ✓ الانفتاح على غير المسلمين في إطار تعريفهم بالقرآن الكريم ومنهجه في الإصلاح والتغيير، ومحاولة بناء هذا التوضيح على أسس علمية وموضوعية، تجعلهم يفهمون جوهر الإسلام وحقيقته.

لائحة المصادر والمراجع

- ❏ إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم أو قاموس القرآن للحسين محمد الدامغاني تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين ط الرابعة 1983م.
- ❏ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المسمى بالتحجير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس 1983م .
- ❏ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الحكني الشنقيطي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، 1415هـ / 1995م.
- ❏ مفاتيح الغيب من القرآن الكريم لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي دار إحياء التراث العربي.
- ❏ التغيير الحضاري وتنمية المجتمع لمحي الدين صابر مركز تنمية المجتمع 1962م .
- ❏ التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق محمد رضوان الداية دار الفكر المعاصر بيروت دمشق الطبعة الأولى 1410.
- ❏ جامع البيان بتأويل القرآن لمحمد بن جرير أبي جعفر الطبري تحقيق أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 1420هـ/2000م
- ❏ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة الثانية 1384هـ/ 1964م .
- ❏ السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي من حديث أبي موسى الأشعري، تحقيق محمد عبد القادر عطا مكتبة دار الباز مكة المكرمة سنة 1414هـ -1994م .
- ❏ القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي الهيئة المصرية العامة للكتاب 1400هـ / 1980م.

❏ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزحاشري الخوارزمي تحقيق عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي بيروت .

❏ الكليات لأبي البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري مؤسسة الرسالة بيروت ط 1419هـ - 1998 م.

❏ لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي دار صادر بيروت الطبعة الأولى .

❏ المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن بن إسماعيل بن سيده المرسي تحقيق عبد الحميد هندراوي دار الكتب العلمية بيروت 2000م

❏ مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي تحقيق محمود خاطر لبنان ناشرون بيروت طبعة 1995/1415م

❏ مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة ط 2 (1420هـ - 1999م).

❏ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي تأليف أحمد بن محمد بن علي المقرئ للفيومي . المكتبة العلمية بيروت الطبعة بدون تاريخ.

❏ مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الفكر 1979/1399

❏ منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي لتهاني عفيف يوسف جابر المعهد العالمي للفكر الإسلامي الطبعة الأولى 2015هـ/1436م

❏ الموسوعة الفقهية الكويتية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، صادرة عن مطابع دار الصفاة بمصر، الطبعة الأولى .

❏ واقع إدارة التغيير لدى وزارات السلطة الفلسطينية رسالة ماجستير من إعداد الطالب حماد محمود الرقب إشراف الدكتور ماجد محمد الفرجة الإسلامية بغزة 1429هـ /2008م